فوائد الصلاة

والحديث عن فوائد الصلاة حديث محبب إلى النفوس، وبحر فوائدها بحر واسع بسعة عظمتها وخصائصها ومكانتها عند الله تعالى وعند رسوله وملائكته وعند عباده الصالحين .

وحسبنا أن نقف على شاطئ بحر فوائدها لعلنا نلتقط شيئاً من هذه الفوائد.

إننا لا ينبغي أن نمل الحديث عن هذه الفوائد ومحاولة استخراجها والتقاطها من بحرها الواسع، ففي الوقوف عليها خير كبير لنا ولمن نتحدث أو نكتب إليهم من إخواننا المسلمين . وإن ديننا الإسلامي العظيم جاء بالخيرات والبشارات، والفوائد والثمرات لأتباعه العابدين العاملين فضلاً من الله ورحمة وإحساناً، والله ذو فضل عظيم . هذا ويمكننا الحديث عن شيء من هذه الفوائد فيما يلي :

1- **أنها (أي الصلاة) مدرسة إيمانية يتربى فيها المصلي على معان إيمانية كثيرة ومتعددة،** ومن هذه المعاني : العبودية لله تعالى، فالمصلي يرفع شعار هذه العبودية ويعلن عنها بحاله، وفعله، ومقاله في الصلاة، وهو قبل ذلك يترك كل عزيز إلى نفسه من مال، وأهل وولد حين يدخل وقت الصلاة، ولا يهتم بشيء عند ذلك إلا اهتمامه بما يتصل بصلاته من طهور، وهيئة، وسعي إلى المسجد مبكراً .

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين المسبحين لربهم في المساجد بالغدو والآصال المقيمين لصلاتهم والمؤدين لزكاتهم، فلا تلهيهم عن ذلك تجارةٌ ولا بيعٌ والحال أنهم أهل تجارة يبيعون ويشترون ويربحون من ذلك . قال تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ

﴿أَحْصَىٰ مَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [1].

قال العلامة السعدي في تفسيره: (خص هذين الوقتين **(أي الغدو والآصال)** لشرفهما لتيسر السير فيهما إلى الله وسهولته، ويدخل في ذلك التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء أي: يسبح فيها اللهَ، رجالٌ، وأي رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب مشغلة عنه ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض فيكون قوله ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ من باب عطف الخاص على العام لكثرة الاشتغال بالبيع عن غيره فهؤلاء الرجال وإن اتجروا وباعوا واشتروا فإن ذلك لا محذور فيها لكنه لا تلهيهم تلك بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه) [2].

ومن المعاني الإيمانية التي يتربى عليها المؤمن في مدرسة الإيمان **(الصلاة)** إحساسه عملياً بأخوة الإيمان التي تجمعه بإخوانه المؤمنين رغم اختلاف الأجناس، والألوان، واللغات، والمستويات، فالصلاة يجتمع فيها المؤمنون كل يوم وليلة خمس مرات يؤدونها جماعة في بيوت الله، وهم يقفون صفوفاً قانتين لرب العالمين، وكلهم يعلم عن يقين أن أشكالهم ومستوياتهم المادية، والبدنية لا قيمة لها في هذا المقام، وأنهم سواء أمام الله تعالى، فهو سبحانه لا ينظر إلى أشكالهم، وألوانهم، ولكنه ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم، فإحساس المؤمن بالأخوة الإيمانية في ساحة المساواة في الصلاة من شأنه أن يقوي هذا الإحساس في نفوس المؤمنين جميعاً في كل مكان فيستعلون به على كل عوامل ومظاهر التفرق التي ينسجها ويطورها عدوهم الكافر.

---

(1) سورة النور: (36 إلى 39).

(2) تفسير السعدي (3/ 365).

ومن المعاني الإيمانية : تربية المؤمن على التواضع لإخوانه المؤمنين، فهو في الصلاة مع إخوانه المؤمنين واحدٌ منهم لا فرق بينه وبينهم بغض النظر عن مكانته خارج المسجد.

ولا شك أن التواضع من القيم الإيمانية التي ينتج عنها التآلف والتقارب والمحبة والرحمة بين المؤمنين، فيعيشون في وئام وانسجام فينشأ عن ذلك القوة والعزة والفاعلية في الحياة : في مجالاتها المتعددة.

والعجيب أن القرآن الكريم يبين أن التواضع للمؤمنين والرحمة بهم ينشأ عنها الشدة على الكافرين كما يقرن بين هذه الرحمة وبين إقامة الصلاة، وبالمقابل فإنه ما وجد إنسان متكبر على المؤمنين شديد عليهم إلا وهو متواضع للكافرين رقيق معهم رحيم بهم وتلك هي حقيقة من حقائق القرآن الخالدة التي لا تتبدل وإن تبدل الناس في فهومهم وقيمهم.

قال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[1] وتقديم وصف الشدة على الكفار قبل وصف الرحمة في هؤلاء المؤمنين الذين هم سيدنا محمد رسول الله < وصحابته الكرام ﷺ أمر له دلالاته وأبعاده وإيحاآته المتصلة بالمكونات الإيمانية لشخصيات هؤلاء المؤمنين، وقد جمع الله تعالى لهم في هذه الآية بين جمال قوة الظاهر والباطن، فإن للشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين مظهرين : أحدهما داخلي : محله القلب، والآخر خارجي : يتمثل في الحركة الظاهرة وما ينشأ عنها، والمظهر الخارجي مترتب على المظهر الداخلي ترتب النتيجة على مقدماتها وكثرة الركوع والسجود دليل على إقامة الصلاة ومحبتها، وإقامتُها دليل على قوة إيمان مقيمها، وجماله بالإيمان، ولم يوصفوا بمجرد الركوع والسجود ولكنهم وصفوا بكثرة

(1) سورة الفتح : (29).

فعلهما وهم مع ذلك يتحركون في حياتهم بالسعي المفيد والابتغاء المثمر فاعلية في الحياة وإثراءً لمعاني وقيم الإيمان الخيرة الفاضلة لا تكبراً ولا طغياناً ولا ظلماً لأحد بل عبودية لله سبحانه وتعالى وطلباً لمرضاته، وإقامة وتمكيناً لدين الله العظيم ولشرعه القويم.

وآثار العبودية والطاعة لله تعالى بكثرة الركوع والسجود سمة تدل عليها سماهم في وجوههم فهي وجوه نيرة وضيئة مشرقة مستبشرة متواضعة يعلوها الجلال، والجمال، والحياء تغضب لله وفي الله، وهي لا تحابي أحداً في الولاء والحب لله تعالى ولأوليائه، والبراء من أعدائه بالشدة عليهم، فلم ير أعداؤهم منهم إلا الشدة والتضييق، ولم يجد منهم إخوانهم المؤمنون إلا الرحمة، والتواضع، واللين، والحب .

وقد جمعوا في هذه الصفات أيضاً بين جمال المعاملة مع خالقهم، وبين جمالها مع خلقه المؤمنين، واستنارت بالصلاة بواطنهم، وظواهرهم جلالاً وجمالاً، فكانوا شامة جميلة في جبين الإنسانية .

2- **أنها تذهب بشرور النفس** . وما أكثرها وأغربها فالظلم، والطغيان، والبطر، والكبر، والحقد، والحسد، والجبن، والبخل، واللؤم، واحتقار الآخر، هذه وسواها مما لا يقع تحت حصرٍ هي من شرور النفس البشرية، وأمراضها، ولو تُركت هذه الشرور والأمراض بغير علاج لأهلكت أصحابها، والحرث والنسل معهم .

ومن رحمة الله تعالى بخلقه أنه لم يتركهم لشرور أنفسهم وأمراضها بل أنزل إليهم كتبه وأرسل إليهم رسله، وشرع من الدين ما عالج به أمراض نفوسهم وأذهب به شرورها .

وجاءت الصلاة ميداناً واسعاً ونافعاً لعلاج هذه الشرور والأمراض وشفائها، وعلم الله تعالى أنه ما عولجت شرور النفس وأمراضها وشُفيت بمثل الصلاة، وقد يبدو هذا الكلام في ميزان من لا يعرف للصلاة أثراً وقيمة أنه كلام ساذج، والناس

أعداء ما جهلوا، ولو علم هؤلاء ما في الصلاة من خيرات ورحمات وعطايا وبركات ظاهرة وباطنة لما وسعهم إلا أن يرددوا مع ذلك العابد الذي تفاعلت نفسه مع ما وجدت في صلاة الليل من خيرات لا يمكن الإحاطة بوصفها، فقال عنها في عبارة عفوية تجسد إحساسه بقيمة هذه الخيرات، وتعكس مشاعره تجاهها قائلاً: نحن في لذة لو علمها أبناء الملوك لقاتلونا عليها، إن وصف الحقائق والتعبير عنها يحتاج إلى قلب يسمو إليها، ويعانقها، أما القلوب الخاوية التي لا يستقر فيها إلا التافه والصغير من الأشياء فهي عاجزة تماماً عن معانقة حقائق الكون والحياة فهي مرتكسة إلى ما استقر فيها، وهي بذلك ترى في تلك الحقائق نوعاً من الخيال، وضرباً من الواقع البعيد تحقيقه. وكل إناء بما فيه ينضح.

وتأتي مقالة سيدنا رسول الله ﷺ تعبر عن العلم النبوي الشريف الواسع بخيرات وبركات الصلاة، وتعكس حقيقة ثابتة من الحقائق المتصلة بهذه الخيرات وتلك البركات، وذلك حين قال لبلال ﷺ: **(يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)** [1] وفي لفظ: **(قم يا بلال فأرحنا بالصلاة)**.

إن هذه المقالة الكريمة الشريفة قد خرجت من مشكاة النبوة الطاهرة التي أوتي صاحبها عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم، ففي هذه المقالة على وجازتها واختصارها كل ما ينشده المؤمنون من خيرات وبركات في الصلاة، وكل ما يريده الراغبون في طمأنينة النفس وراحتها وذهاب شرورها وأمراضها.

لقد كانت جملة **(أرحنا بها)** في المقالة النبوية الكريمة معلماً خالداً من معالم العلم النبوي الشريف الواسع بعلاقة الصلاة بالنفس البشرية المؤمنة، وأثرها المباشر عليها راحة، وطمأنينة، وسعادة، وأُنساً، وانشراحاً، وخفة، ورغبة في الخير وفعله، وكراهية للشر وأهله، ومدى انعكاس ذلك على أداء النفس وفاعليتها، وعطائها على

(1) رواه أبو داود في سننه (4985) كتاب الأدب.

صعيد الحياة العملية، فاللهم صل وسلم وزد وبارك على من أوتي جوامع الكلم، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

3- أن **الصلاة من أسباب تيسير الرزق**، ويمكن أن نستنبط ذلك ونستشفه من خلال ما يلي:

أولاً: قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1] ولا شك أن الأمر بالصلاة يستلزم الأمر بما تصح به الصلاة، وفي الآية بيان مسئولية المؤمن تجاه أهله في تربيتهم على الصلاة وأمرهم بها، فهي عمود الإسلام، وهي أس الفضائل والأخلاق والمعاملات، وبإقامتها تقوم حياة صاحبها صلاحاً وعملاً وخيراً، والأمر للمؤمن بأن يأمر أهله قائم على الأمر له أولاً، فهو مستلزم لقيامه بهذا الأمر في نفسه، ثم في أهله وهو ما يتواءم مع نصوص في مثل قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2] الآية، وفي مثل قوله سبحانه: ﴿قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾[3]، وفي مثل قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[4] الآية. والآية دالة بظاهرها على أن إقامة الصلاة، وأمر الأهل بها، والاصطبار عليها من أسباب تيسير الرزق وتسهيله وذلك لأن الله تعالى بين في الآية أنه لم يكلف المؤمن المصلي، الآمر لأهله بالصلاة بأن يتكلف مشقة رزق نفسه، لأن ذلك غير ميسور له لأن الخلق لا يرزقون أنفسهم، بل ولا يرزقون غيرهم، ولكن الله تعالى الذي بيده رزق مخلوقاته هو الذي يرزقهم جميعاً إنسهم وجِنَّهم، لا فرق في ذلك بين المؤمن والكافر مصداقاً لقوله جل وعز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا

---

(1) سورة طه: (124).

(2) سورة البقرة: (44).

(3) سورة إبراهيم: (21).

(4) سورة التحريم: (6).

﴿ ... ﴾[1]، ولقوله سبحانه على لسان إبراهيم : ﴿ ... ﴾[2].

وإذا كان الله جل جلاله يسوق الرزق لخلقه أجمعين، فهو سبحانه وتعالى يسوقه لأحبابه المؤمنين المصلين الآمرين لأهليهم بالصلاة بيسر وسهولة من حيث لا يقدرون ولا يحتسبون فيفتح عليهم أبواب الرزق، ويسهل عليهم مسالكه منحة ورحمة وعطاء وفضلاً منه تعالى لأنهم آثروا الأهم على المهم .

والتعبير الكريم في الآية الكريمة ﴿ ... ﴾ بنون العظمة يشي بالقوة والعظمة والقدرة لله جل جلاله، و﴿ ... ﴾ ضمير فصل : أي نحن نرزقك وليس أحد سوانا، وهذه حقيقة من الحقائق القرآنية الساطعة الخالدة التي ينبغي ألا يغفل عنها كل مؤمن، فلا يتيه كما تاه ويتيه غيره في قضية الرزق، فإن كثيرين من الناس يهتمون للقمة العيش اهتماماً واغتماماً يكادان يقضيان على حياتهم، في مقابل عدم اكتراثهم بإقامة الصلاة في نفوسهم وأهليهم، وهم بذلك لن يزدادوا إلا غماً وضنكاً، لأن خالق الخلق ومقدر الرزق جل في علاه بين في كتابه الكريم أن من آثر مرضاته وطاعته وإقامة أمره، يسر له أمر الرزق وسهله، ومن خالف فسيجد التعسير والتشديد في حياته . قال تعالى : ﴿ ... ﴾[3].

ثانياً: أن نصوص القرآن الكريم تقرن بين إقامة الصلاة وبين إيتاء الزكاة والإنفاق من الرزق. قال تعالى : ﴿ ... ﴾

---

(1) سورة الذاريات : (56 إلى 58).

(2) سورة الشعراء : (79).

(3) سورة طه : (124).

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

إن مجيء اقتران صفتي إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، أو الإنفاق من الرزق في القرآن الكريم في وصف المؤمنين، لهو أمر له دلالاته وأبعاده القريبة والبعيدة المتصلة بأثر إقامة الصلاة في حياة صاحبها تيسيراً في رزقه وبركة فيه، وهو ما يمكننا من القول بأن من أقام الصلاة فهو مبشر من الله تعالى بتوسيع رزقه حتى يكون رزقاً تتوجب فيه الصدقة المفروضة (**الزكاة**) أو يكون صاحبه مدعواً للصدقة المتطوع بها، وذلك أمر يدعونا إلى النظر والتأمل في الآثار الإيمانية التي تُحْدِثُها إقامتنا للصلاة، في مجال حياتنا وخاصة ما اتصل بأمر الرزق، ودراسة هذه الآثار ونتائجها دراسة مستوعبة في مجالَيها النظري والعلمي، وربط ذلك بحركة النفس البشرية وهي طائعة لله خالقها.

هذا ويمكننا أن نضيف إلى ما سبق فيما يتصل بمجيء صفتيْ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، أو الإنفاق من الرزق معاً في القرآن الكريم من بين صفات المؤمنين شيئاً آخر هو ما يدل عليه هذا الاقتران وما يشعر به من المسئولية المناطة بالمؤمنين، وضرورة نجاحهم في ميداني الإحسان فيما بينهم وبين الله تعالى وذلك بصدق الإخلاص في العبادة، والإحسان فيما بينهم وبين خلق الله سبحانه.

قال العلامة السعدي: في تفسيره: (وكثيراً ما يجمع الله تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان على عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود وسعيه في نفع

---

(1) سورة البقرة: (1، 2، 3).

(2) سورة الأنفال: (2، 3).

الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه فلا إخلاص ولا إحسان)[1] . فلا يوجد مؤمن إلا وهو آخذ بزمام النجاح في الميدانين . ومن أخفق في ميدان إقامة الصلاة، فهو حتماً سيخفق في ميدان الإنفاق المفروض أو المتطوع به، ولا عبرة ببعض الظواهر المخالفة فأمدها قصير والعبر بالمداومة والاستمرار.

وجاءت آيات قرآنية كريمة تبين مصير أناس سقطوا في ميدان إقام الصلاة وترتب على ذلك سقوطهم في ميدان الإنفاق، فكان مصيرهم بئس المصير عياذاً بالله تعالى . قال الله سبحانه : ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾[2] وإقام الصلاة من الإيمان بالله العظيم.

وقال عز من قائل: ﴿ ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ﴾[3] الآية . وقال جل وعز : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾[4] فقد بينت هذه الآيات الكريمة أن هؤلاء استحقوا ما استحقوا لأنهم جمعوا في نفوسهم أسباب العذاب والشقاء فلا طاعة منهم لله، ولا إحسان لخلقه، فجفت نفوسهم من محبة الله تعالى ومحبة خلقه، والعطف عليهم، فخلت بالكلية من الرحمة، فكان جزاؤها عذاب النار التي لا رحمة فيها، وهو جزاء مناسب لجنس عملهم، ولا يظلم ربك أحداً.

إن الرحمة الإلهية التي تنسكب في قلوب المؤمنين مقيمي الصلاة تنشأ عنها رحمتهم بخلق الله، فقلوبهم قلوب رحيمة، ونفوسهم نفوس رقيقة، وإن الكرم الإلهي

---

(1) تفسير السعدي (1/ 10).

(2) سورة الحاقة : (30 إلى 34).

(3) سورة المدثر : (42 إلى 44).

(4) سورة الماعون : (4 إلى 7).

الذي يفاض على عباده المؤمنين مقيمي الصلاة ينشأ عنه كرم نفوسهم بمحبة خلقه، وكرم أيديهم بالبذل والعطاء .

4- ومن فوائد وثمرات وبركات الصلاة: أنها من أسباب إشاعة القدوة الحسنة والمثل الطيب في المجتمع الإسلامي. إن حركة الأمة الإسلامية في الحياة قامت على القدوة الحسنة والمثل الطيب، وحين ظهر الإسلام في مكة المكرمة ثم قامت من بعد ذلك دولته في المدينة المنورة كان قدوة المؤمنين ومثلهم يتجسد في شخص رسول الله ﷺ ، فكان ذلك دافعاً لهم إلى الاقتداء والاحتذاء به والإتباع له ﷺ، ثم كان صحابته ﷺ من بعده – وهم يحملون هديه الكريم – نجوماً ساطعة في القدوة الحسنة والمثل الطيب، ولا زالت الأمة بحمد الله تعالى برغم ما أصابها تحترم القدوة الحسنة والمثل الطيب المتمثل في سلوك أبنائها من العلماء العاملين، والعابدين، والمجاهدين، والمربين، والسالكين لدروب الخير والفضيلة ومكارم الأخلاق .

وإن الأمة الإسلامية غنية بالمثل الكريمة والقدوات الحسنة من أبنائها، وهي تسعد بهم كل يوم وتتقوى بهم على الصعاب التي تواجهها في شتى المجالات، فهم أقباس مضيئة لأمتهم وهي تسير على طريق تأكيد هويتها التي بينها الله تعالى بقوله الكريم : ﴿ كنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] وإن الحركات والمذاهب الهدامة التي ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية قامت على إلغاء القدوة الحسنة والمثل الطيب وسحقهما أينما وُجدا.

والصلاة ميدان رحب وواسع لإشاعة ونشر القدوة الحسنة والمثل الطيب في المجتمع الإسلامي، فالأبناء يرون في الوالدين المصليين قدوة حسنة ومثلاً طيباً لهم فيحتذون حذوهم خاصة إذا أدرك الوالدان مسئوليتهما تجاه الأهل والأبناء وتمثلا هذه المسئولية من خلال الأمر الإلهي العظيم الذي نزل به الأمين جبريل عليه السلام على قلب

(1) سورة آل عمران : (110).

محمد الأمين عليه صلوات الله وسلامه وحياً يتلى إلى يوم القيامة ليدرك كل مؤمن مسئوليته عن نفسه ومسئوليته عن أهله، وذلك هو قوله سبحان وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1] الآية، وقوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[2] الآية.

ويرى الصغار إخوتهم وأخواتهم الكبار يصلون، فتتكون بذلك أمامهم قدوة حسنة ومثل طيب، وهكذا الجيران والأصدقاء في العمل يرون في المصلين قدوة طيبة يحبون أن يحذوا حذوها.

ويأتي السعي إلى الصلاة في المسجد مع جماعة المسلمين كل يوم وليلة خمس مرات معلماً خالداً من معالم إشاعة القدوة الحسنة والمثل الطيب بين المسلمين على طريق العبودية لله تعالى والإيمان به سبحانه، فالحمد الله على نعمة الإسلام.

ويأتي السعي إلى صلاة الجماعة في المساجد ليضيف إلى ذلك أبعاداً واسعة ومعاني عظيمة تتصل بدور المؤمن الذي يمثل القدوة الطيبة الحسنة في حركته كلها في الحياة، فلا شك ولا جدال بأن صورة المؤمن وهو يسعى إلى الصلاة في المسجد جماعة في اليوم والليلة خمس مرات منذ أن يكلف بإقامة الصلاة وإلى أن ينتهي أجله أو يعجز عن ذلك، لا شك أن صورته تلك تعكس معنى الإيمان والالتزام بأمر الله عز وجل وبسنة رسول الله ﷺ. وفي سعيه كل يوم وليلة خمس مرات حيث يراه أهله وجيرانه وسكان الحي الذي يسكن فيه، إشاعة للقدوة الحسنة بينهم، فالإنسان غالباً يحاكي مايراه، وما يسمعه خيراً أو شراً، فهو يتأثر بذلك خاصة إذا كان ما يراه أو يسمعه خيراً، فإن قابليته عند ذلك للمحاكاة والتأثر تكون قوية.

---

(1) سورة طه: (124).

(2) سورة التحريم: (6).

وبانتشار القدوة الحسنة تقل أو تختفي القدوة السيئة التي تختفي معها الجرائم ومظاهر الفساد والانحراف، وهكذا يتبين بأن إقامة الصلاة عامل مهم من عوامل الأمن، والاستقرار، وانتشار القدوة الحسنة والمثل الطيب في الحياة مما يجعل لهذه الحياة معنى كريماً يحس به ويجد أثره كل ذي نفس كريمة.

5- **أنها من أسباب إشاعة جو الثقة في المجتمع**، وذلك أن رؤية المصلين لبعضهم في المسجد في الحي الواحد في اليوم والليلة خمس مرات يعد من أسباب التعارف والتقارب بينهم، ومن ثَـمَّ إشاعة الثقة والطمأنينة بينهم. إن المسلم لا يحس بالثقة في جاره الذي لا يراه يصلي في المسجد. إن الصلاة في المسجد من شعائر الإيمان والإسلام، لأن المصلي في المسجد سينال الخير على كل حال، فيوماً يسمع موعظة يتأثر بها، ويوماً يسمع آية يرق قلبه لها، ومع مرور الأيام يزداد رصيده الإيماني، وتتقوى نفسه بالإيمان والطاعة ويزداد إحساسه بالأنس بصلاة الجماعة وإلفها، وبأثرها على نفسه وشخصيته. ولقد حدثني أحد أئمة المساجد بمكة المكرمة أنه فوجئ بشاب ذات يوم بعد صلاة المغرب يأتيه وهو يبكي بشدة، فلما استفسر منه عن سبب بكائه قال له : أنا أواظب على الصلاة جماعة، وفي هذا اليوم زين لي الشيطان عملاً سيئاً أغراني به، فعزمت على فعله، وأنا في الطريق إلى ذلك أدركتني صلاة المغرب فصليتُ معك، ولما قرأتَ ما قرأتَ من الآيات[1] في الركعة الأولى أحسستُ كأن هذه الآيات تخترق كل شيء في كياني، فاقشعر لها بدني، وخشع لها قلبي، وانتابتني حالة من الخوف والفزع سيطرتْ على كياني كله، وكرهت نفسي، وقذارة ما كنت متوجهاً إليه، وأنا تائب إلى الله تعالى مما عزمت على فعله، فادع الله لي ألا يؤاخذني . فقلت: إن هذه القصة دليل واضح وبرهان ساطع على ثمرة وبركة صلاة الجماعة وأثرها على المسلم، وأنها لا تأتي إلا بالخير، ولا يجد منها أهلها إلا كل الخير.

---

(1) حدثني ذلك الإمام أنه قرأ الآيات الخمس الأولى من سورة النور.

6- **أنها تقلل من المشاكل الأسرية** إن لم تكن سبباً في القضاء عليها، فالبيت الذي يقيم أهله الصلاة هو بيت تقل مشاكله مع الأيام، لأن لصلاة الرجال الصلاة النافلة، ولصلاة النساء صلاة الفرض والنفل فيه خيراً كثيراً وأجراً عظيماً يعودان بالحفظ والبركة على أهله، والبيت الذي لا يصلي أهله هو كهف مظلم خرب تأوي إليه الأرواح التي تعشق كل مكان مظلم خرب فتكثر بذلك مشاكله ومآسيه، أما البيت الذي يعمره أهله بتلاوة القرآن وبذكر الله تعالى، وبصلاة النفل من رجاله وبصلاة الفرض والتطوع من نسائه فهو بيت يتلألأ نوراً وضياء، فلا تجد فيه تلك الأرواح مكاناً لأن الصلاة راحة للنفس، وتهدئة للأعصاب، وسكينة للروح، وهكذا فإن أهل هذا البيت ستقل مشاكلهم، ويتقارب ودهم، فكلما أوقد الشيطان فيه ناراً للخلاف والشقاق أطفأها الله تعالى بصلاتهم .

وينبغي أن يعرف المسلمون أثر الصلاة الفاعل في إشاعة جو التقارب والمودة بين أفراد البيت المسلم، لأن حقائق القرآن الكريم تبين ذلك وتدل عليه، ففي سورة البقرة كان حديث القرآن الكريم من الآية رقم (226) إلى الآية رقم (242) عن الإيلاء، والطلاق، والرضاع، وعن المتوفى عنها زوجها، وعن الخِطبة تعريضاً، وفي الآية رقم (238) كان الحديث عن الأمر بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى قال تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ وهو أمر يدعو إلى التساؤل عن علاقة هذا الأمر الإلهي الكريم بالآيات التي قبله والتي بعده، فسياق هذه الآيات يتحدث عن قضايا تحدث للناس في حياتهم بسبب شقاق أو خلاف أو غير ذلك فينشأ عن ذلك الإيلاء، أو الطلاق. ومن هذه القضايا: الرضاع وحقوقه ، والعدة وحقوقها، وهي قضايا ذات طابع اجتماعي تحدث في البيوت فهي محلها .

والله تعالى يبين لعباده المؤمنين أن مما يستعان به على التواد والتقارب بين

المختلفين، وأن مما تسكن به النفوس، وتهدأ به العواطف، وتستقر به المشاعر في هذا الأمر من كل سبل الخلاف والشقاق هو المحافظة على الصلوات المفروضة وخاصة الصلاة الوسطى في هذه الصلوات، والقيام لله في هذه الصلوات بمنتهى الخشوع، والصلاة الوسطى هي صلاة العصر . قال العلامة السعدي : في تفسيره : (والمحافظة عليها (**أي الصلوات**) : أداؤها بوقتها وشروطها، وأركانها، وخشوعها، وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلاة تحصل المحافظة على سائر العبادات ، وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر وخصوصاً إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ أي: ذليلين مخلصين، خاشعين، فإن القنوت دوام الطاعة مع الخشوع)[1].

7- **أنها من أسباب صحة الأبدان والقلوب.** وذلك أمر يعرفه من انشرح صدره بإقامة الصلاة، فإن صلاح البدن وقوته مرتبطان بصلاح القلب وقوته، مصداقاً لقوله ﷺ : (... **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**) وهو جزء من حديث النعمان بن بشير، رواه البخاري ومسلم[2].

ويا تُرى بم يصلح القلب، وبم يفسد؟ إنه يصلح ويقوى ويشرق بطاعة الله تعالى، وعبادته، ومحبته والإنابة إليه وكثرة ذكره، ومحبة ما يحب، وبغض ما يبغض . ويفسد، ويضعف، ويظلم بالمعاصي والذنوب، فالمعاصي والذنوب – كما يقول ابن قيم : – : (تصرف القلب عن صحته، واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها، ولا دواء لها إلا تركها،

---

(1) تفسير السعدي (1/ 179).

(2) رواه البخاري في صحيحه (1/ 28) برقم (52).
ومسلم في صحيحه (3/ 1219) برقم (1599).

وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها، ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها فهواها مرضها، وشفاها مخالفته) [1]. ولا شك أن لذلك أثره على البدن، فما وهنت الأبدان إلا بوهن قلوب أصحابها، أما كيف يكون صلاح القلب وقوته سبباً في صلاح البدن وقوته، فذلك علم يعرفه الحكماء في طب القلوب وعلاجها، كما يعرفه الأطباء في معالجة الأبدان. وما انشرحت القلوب واستأنست واستنارت بمثل ذكر الله تعالى وطاعته، ومحبته، وعبادته .

وتأتي الصلاة ميداناً يتقوى فيه وبه القلب، ويتخلص من أدران الشهوة، وعلائق المادة، فيصفو ويستنير بمناجاته لله رب العالمين، ويقوى ويستعلي على كل خوف ورهبة وخشية لغير الله تعالى، فلا يخاف إلا من الله سبحانه، ولا يرهب إلا له، ولا يخشى إلا إياه، ومن شأن البدن الذي يكون فيه مثل هذا القلب أن تسري في أجزائه القوة والعافية .

روي أنا أبا الطيب الطبري كان قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته فوثب يوماً من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة فعوتب على ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر [2] ، وهذا فهم سديد رشيد لأثر الطاعة في حفظ القلب والعقل والبدن وسائر الجوارح، بل وأثرها في حفظ المرء في نفسه وأهله وماله وشأنه كله مصداقاً لقول النبي ﷺ : (**احفظ الله يحفظك**) وهو جزء من حديث رسول الله ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما ، خرجه

---

(1) الجواب الكافي ص (82).

(2) جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق : شعيب الأرناؤط، وإبراهيم باجس (1/ 466).

الإمام أحمد والترمذي بنحوه مختصراً وقال : حديث حسن صحيح [1].

8- **ومن فوائد الصلاة: أنها تنور العقل وتقويه** فيزكو بها، وينمو، ويستنير، ويفتح الله عليه بالصلاة آفاقاً واسعة من الإدراك والفهم والتبصر بما لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، ولذلك فلا يكاد يوجد اثنان : أحدهما مقيم للصلاة والآخر مضيع لها، إلا وكان المقيم لها أوفر وأكمل عقلاً، وفكره أصح، ورأيه أسد، والصواب قرينه، ولهذا تجد خطاب القرآن إنما هو مع أولي العقول والألباب كقوله تعالى: ﴿ وَٱتقونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿فَٱتقوا ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] وقوله جل وعز: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4] ونظائر ذلك كثير في القرآن الكريم.

إن للحياة مشاغلها، ومشاكلها المتنوعة والكثيرة، ولو تُرك الناس إليها لأهلكتهم، ولكن رحمة الله تداركت المؤمنين، ومن مظاهر هذه الرحمة فرض الصلاة عليهم رحمة بهم وعناية، فكان فرضها في اليوم والليلة خمس مرات بمثابة واحة خضراء جميلة ذات ظلال ومياه يأوي إليها المؤمن ليستريح فيها من كد الدنيا وشدتها ولهبها، ومشاكلها، وفي هذه الاستراحة تجديد لنشاط وحيوية الروح والقلب والعقل وراحة للبدن وتنشيط لحركته، ولعل ذلك يستفاد من قول النبي ﷺ **(يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)**[5] فهو يدل على معان وأبعاد ودلالات قريبة وبعيدة، ظاهرة وباطنة تتصل بأثر الصلاة في تجديد عمل ونشاط الروح، والقلب، والنفس، وسائر البدن، تجديداً يتصل بعطاء المصلي وأدائه الروحي، والنفسي، والعقلي، والبدني، بما يعكس

---

(1) انظر : مسند الإمام أحمد (1/ 293).
وسنن الترمذي (4/ 667) برقم (2516).

(2) سورة البقرة : (197).

(3) سورة المائدة : (100).

(4) سورة البقرة : (269).

(5) تقدم تخريجه.

شأن وأهمية وفاعلية وأثر الصلاة في حياته كلها .

وجاء التعبير النبوي الكريم في طلب الراحة بالصلاة مطلقاً غير مقيد ليشمل كل ما يريح وتحصل به الراحة المحسوسة والمعقولة، الظاهرة والباطنة وذلك القول الكريم يدل على مدى تعلق نفسه ﷺ بالصلاة وحبه لها.

9- **ومن فوائد الصلاة : أنها سبيل إلى كرامة النفس، وعزتها** : فنفس المؤمن تكرم في الصلاة بكثرة مناجاتها لله جل جلاله، وكثرة الركوع والسجود فيها، فلا شك أن الركوع مظهر من مظاهر الخضوع والانكسار، والسجود مظهر من مظاهر الذلة والصغار لله العزيز الجبار، والركوع والسجود هما مدرج من مدارج العبودية لله جل جلاله يضع بهما المصلي قدميه على سلم الصعود إلى علياء العزة والكرامة.

والعجيب في أمر الركوع والسجود أنهما في ظاهر فعل العبد المصلي لهما يدلان على خضوعه، وانكساره وذلته وصغاره بين يدي ربه جل في علاه، وهما في ذات الوقت يرتقي بهما العبد في مدارج العزة والرفعة والكرامة، فمن ذل وانكسر لله تعالى بكثرة الركوع والسجود بإقامة الصلاة أعزه الله وأكرمه، والعزة والكرامة من الله تعالى موصولتان مبذولتان لمن أقام الصلاة وصلاً يشمل ظاهر أمره وباطنه، وخاصته وعامته، وعاجله، وآجله .

ومن شأن النفس المؤمنة التي تكرم بالصلاة وتعز أنها تبذل الكرم، وتحب الكرامة، وأهلها، وأحوالها، وتكره المهانة وما تؤدي إليه، وأهلها، وأحوالها، كما أنها تعشق العزة، وأهلها، وأحوالها وما تؤدي إليها، وتمقت الذل وأهله، وأحواله، وكل ما يؤدي إليه، فهي نفس قد كرمت وعزت بكرامة وعزة الصلاة، فوضعت الجبهة والأنف والوجه كله في الأرض وفي التراب تعظيماً لله الجليل العظيم، ومحبة وعبودية وطاعة له جل وعز، فرفعها بذلك إلى مدارج وعلياء العزة والكرامة، وأفاض عليها من عزه، وكرمه، ما أصبحت به عزيزة كريمة، فالعزة والكرامة منه وحده

سبحانه وتعالى، فمن أعزه الله لا يذله غيره، ومن أكرمه الله فلا يهينه الآخرون . قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] وقال عز من قائل: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[3] ومفهوم المنطوق لهذه الآية الكريمة أن من يكرمه الله فما له من مهين . وقال جل جلاله : ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾[4] الآية.

10- **أنها سبب للنجاح في الدنيا والآخرة** . فمن نجح في إقامة الصلاة فذلك دليل على حصول النجاح له في الدنيا والآخرة . وذلك أن الإنسان لا يمكن أن يحيا بدون دين، ودين المؤمنين هو الإسلام، والإسلام عموده الصلاة، والشيء إذا هدم عموده سقط فالصلاة جعلها الله تعالى رابطة بين دنيا المؤمن وآخرته، فعن طريقها تظهر فاعلية المؤمن في دنياه، ويعرف طريقه إلى آخرته . وعلى ذلك فمن كان حازماً جاداً في أمر صلاته فإن ذلك الجد والعزم سينعكسان إيجاباً وفاعلية على حركته في الحياة، وإن التهاون في أمر الصلاة عزماً، وفعلاً، سيترتب عليه التهاون شئون الحياة. وهذا أمر نريد أن نبسطه حتى يعرف المسلمون بعضاً من آثار وأسرار الصلاة في حياتهم .

إن الله عز وجل جعل الوقت في الليل والنهار قائماً على أوقات الصلاة، فقد وزعت أوقاتها في اليوم والليلة توزيعاً روعي فيه حاجة المكلف بها ومصالحه بحيث تنعكس إقامته لها على حياته كلها نجاحاً وإيجابية . وأوقاتها التي فرضت فيها هي أشرف الأوقات عند الله تعالى، والمؤمن حين يعمر يومه وليلته بإقامة الصلاة، فقد

---

(1) سورة فاطر : (10).

(2) سورة المنافقون : (8).

(3) سورة الحج : (18).

(4) سورة آل عمران : (26).

عمرهما بطاعة الله سبحانه، وظفر بالطاعة في أشرف الأوقات فيهما، ومن شأن ذلك أن تنعكس آثاره عليه بالنشاط والحيوية والفاعلية في حركته في حياته كلها، فهو منشرح الصدر، سعيد النفس، خفيف الظهر، لا يرى الحياة إلا سبيلاً للآخرة، سريع الخطى إلى كل عمل فيه مرضاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، سماع للخير، ناصح لله تعالى، ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين، الصلاة تعيش في وجدانه، قرة عين لنفسه، يجد فيها الراحة والطمأنينة والأنس، كما يجدها أملاً يتجدد معه كل يوم خمس مرات، ويشعر معه بحياة جديدة يتجدد معها حباً وطاعة، وولاء، وعبودية وتعظيماً لله جل جلاله .

وهذا النموذج الرائع الناجح في دنياه وأخراه هو أثر كريم من آثار إقامة الصلاة، وإذا عرف المسلمون ذلك أقبلوا على الصلاة عناية واهتماماً بها وتعظيماً لشأنها، وحرصاً عليها وإقامةً لها بغاية الحب والرغبة، ففي إقامتها صلاح دنياهم وأخراهم، والعاقل يحرص على ما فيه صلاحه في دنياه وأخراه، وإنما يعيش السفيه على هامش الحياة كفقاعة ظهرت على سطح الماء ثم تلاشت، بلا أثر يذكر أو ذكر ينشر.

11- **ومن فوائد الصلاة: أنها يثبت بها الإيمان ويقوى بها الإسلام.** وذلك أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والصلاة من أشرف وأجل الطاعات، وهي عبادة تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، ومن شأن ذلك أن يكوِّن عند المصلي رصيداً إيمانياً يقوى ويزداد مع مرور الأيام والليالي، لأن من شأن الطاعة المقبولة أن يكتسب بها صاحبها هداية تقوده إلى هداية أكبر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[1] الآية، ومن شأن الطاعة أنها تمحى بها الخطايا، وتكتب بها الحسنات . ومحو الخطايا فيه إذهاب لأثرها المترتب عليها، وكتابة وزيادة الحسنات فيه

(1) سورة مريم: (76).

حصول ما يترتب عليها من تثبيت الإيمان وتقوية الإسلام في نفس صاحبها، ورفع درجاته، ولعل هذا يدل عليه قول المصطفى ﷺ في شأن الصلاة وأثرها في محو الخطايا وزيادة الحسنات وتثبيت الإيمان وتقوية الإسلام، وتشبيهه عليه الصلاة والسلام الصلاة بأنها تنفي وتزيل الخطايا الظاهرة والباطنة وهي أدران وأوساخ كنهرٍ غمر جار يغتسل منه المصلي كل يوم خمس مرات . وقد تناولنا الحديث حول هذا الحديث النبوي فيما سبق .

وينشأ عن زيادة الإيمان، وثبات الإسلام في نفس المصلي ورفع درجاته، ومحو سيئاته، أن يحصل لديه ما يترتب على ذلك من خيرات كثيرة ظاهرة وباطنة لا يحيط بها إلا الله سبحانه وتعالى. وهي كلها ذات صلة بأثر وفائدة الصلاة وبركتها على صاحبها.

12- **ومن فوائد الصلاة : أنها يتميز بها صاحبها في الدنيا والآخرة** تميزاً يدل على ما ناله من خير وفضل . ففي الدنيا يعرف مقيم الصلاة بنورانية الوجه، وانشراح الصدر، وسعة البال، والتواضع والرحمة والرفعة واللين .

وأريد التوقف عند نقطة هامة تتصل بسؤالٍ قد يرد على الألسنة مفاده: هل كل من يؤدي الصلاة لا بد أن تتوفر فيه هذه الصفات، مع أن الناس يرون في دنيا الواقع من يصلي ولكنه ليس عنده من هذه العلامات أو الصفات شيء، بل ربما وُجد ما يضادها؟ والجواب عن ذلك هو نفسه متصل بذات النقطة التي أريد التوقف عندها.

إن ما أريد التوقف عنده هو التذكير بأن هناك فرقاً جوهرياً واسعاً وبوناً حقيقياً شاسعاً بين من (**يقيم**) الصلاة، ويديم ويحافظ على هذه الإقامة، وبين من (**يؤديها**) مجرد أداء، فالفرق واضح بين من (**أقام**) صلاته بكل ما تدل عليه الكلمة من معان ودلالات تتصل بالاهتمام، والاغتمام والاستعداد لأمر الصلاة، وتعظيم شأنها، وقتاً، وتطهراً، واستعداد وتبكيراً، وقياماً بكل حقوقها وما يتصل بها من هيئة ونظافة

وسواك وجمال حال وحسن مقال، وأداء لسننها الراتبة، وأذكار المتصلة بها من معقبات وسواها، وبين من (**أدى**) صلاته مجرد أداء .

والقرآن الكريم جاء فيه وصف (**أقام**) وما تفرع منه للمؤمنين، كما جاء وصفهم بالمحافظة والمداومة على صلاتهم أي على إقامتها، ولم يرد وصفهم بصفة (**الأداء**). وبهذا يمكننا عدم الخلط بين من (**يقيم**) صلاته، وبين من (**يؤديها**) مجرد أداء . ونحن إنما نتعرف على الأشياء من خلال أصحابها بظواهرها وصفاتها حقيقة، ونكل ما وراء ذلك إلى الله تعالى المطلع على كل شيء، وتبقى الصفات والسلوكيات تدل على ما وراءها غالباً.

وفي الآخرة يعرف مقيم الصلاة بالنور والغرة في الوجه من آثار الوضوء وذلك دل عليه قول المصطفى < فيما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ: (**إن أمتي يُدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**) [1] وأخرجه مسلم مطولاً.

كما يعرف بالسجود واستطاعته، لأنه سجد لربه وخالقه في الدنيا فيسهل عليه السجود له سبحانه في الآخرة، أما من لم يسجد لربه وخالقه في الدنيا فهو لا يستطيع السجود له في الآخرة، وذلك دل عليه قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ [2].

13- **ومن فوائد الصلاة : أنها تبارك العمر وتزكيه.** فالعمر هو ما يعيشه المرء من السنين والشهور والأيام . وكيف يمكن أن نتصور إنساناً مسلماً لا يعمر عمره بإقامة

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (1/ 63) برقم (136).
ومسلم في صحيحه (1/ 217، 218) برقم (246).

(2) سورة (ن) : (42، 43).

الصلاة فيه . إن امرءاً لا يعمر أيامه ولياليه وسني عمره بالصلاة لربه سبحانه لهو امرؤ منحوس البركة، مطموس البصر، والبصيرة، فلولا أن الله تعالى شرفنا وأكرمنا بالصلاة له في أيام العمر ولياليه وسنيه، لكان العمر سجناً لا يطاق، ولكانت الحياة مملة ثقيلة، ولكنا بالصلاة نتجدد ونحس ببركة اللحظات والحركات والأنفاس، ونحس بزكاة الأعمار وجمالها، فالحمد لله على فضل الله وإحسانه .

وإن المؤمن ليستشعر نعمة التكريم والتشريف له بفرض الصلاة عليه، وعلى من سبقه من المؤمنين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[1] .

14-**وجاءت أوقاتها لتشكل علامة بارزة دالة على أهميتها، وأثرها وشأنها في عمر صاحبها، وتنظيم أوقاته، وحياته**: فصلاة الصبح تأتي بعد النوم والراحة حيث يستقبل بها المصلي يومه وصدر نهاره ترعاه عناية الله تعالى بما صلى وذكر، وبعد عناء العمل ومكابدة الحياة في صدر النهار تأتي صلاة الظهر وسط اليوم فيرتاح المصلي بها، ويجد في أجوائها الروح والروحانية حيث يتخلص من العلائق المادية وآثار المواقف اليومية التي واجهته في حركته في يومه ذاك فيجد نفسه نشطاً، خفيفاً، مرتاحاً، مستعلياً على كل ما رآه، أو واجهه من تناقضات الحياة والناس، ثم تأتي صلاة العصر، بعد تناول طعام الغداء، وأخذ شيء من الراحة حيث يستقبل بها المصلي الجزء المتبقي من اليوم فتضفي عليه النشاط والحيوية، ولتكون خاتمة الصلوات في اليوم، ومن خلال آثارها الطيبة المباركة عليه يستقبل ليلته التي تبدأ بصلاة المغرب والتي تشكل محطة انطلاق وتزود ينطلق منها المصلي ويتزود لليلته تلك، وفي الليل أسرار، وأسحار، وآثار، وخير، وشر، وعطايا، وبلايا، ومنح، ومحن، فلا بد للمؤمن من أخذ الأهبة والاستعداد لذلك كله وسواه من الأسرار والعجائب التي يلفها الليل المظلم بردائه الهادئ الصامت . والوقت بين صلاتي المغرب والعشاء غير طويل عادة خاصة

---

(1) سورة النساء : (103).

في وسط الكرة الأرضية، فتأتي صلاة العشاء لتشكل مع صلاة المغرب فريضة الليلة ولذلك سميتا بالعشائين، وإن سميت صلاة العشاء بالعشاء الآخرة .

وهكذا ينتقل المصلي بصلاة العشائين، وخاصة بالعشاء الآخرة في ليلته آمناً، مستريحاً، مطمئن القلب، منشرح الصدر، مبارك الخطى والأنفاس، وهو يحس بعناية الله تعالى وحفظه، فينام وهو قرير العين مبتهج النفس، وهو يتطلع إلى صلاة الصبح، حتى إذا دخل وقتها قام من نومه ذاكراً لله تعالى حامداً له، مستعيناً، ومستعيذاً به، ومتوكلاً عليه، وهو في غاية النشاط والإقبال على طاعة ربه وذكره .

ولنا أن نتصور ما يجده هذا المصلي، من خير، وسعادة في حياته، وما يشعر به من بركة في أيامه وعمله وشأنه كله، فهو حين يتنقل بين أوقات الصلوات كعصفور جميل يتنقل من شجرة جميلة إلى أخرى جميلة، يحلق في الآفاق . وينظر إلى الأرض وأهلها من موقعه الأخضر العالي الرقيق الجميل .

15- **والصلاة ترفع صاحبها عن السفاسف**، والدناءات، والحقارات، فتكسبه همة عالية، وعزيمة قوية، ونفساً كريمة، فتصبح اهتماماته، ونظراته للحياة وللأشياء وللناس حوله عالية تدل على علو همته، وقوة عزيمته، وكرامة نفسه، وهذه المعاني وسواها يمكن أن تستفاد من قول الله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾[1]، وبالمقابل فإن العقل الكريم الحر ليعجب غاية العجب من مسلم تمر عليه السنون بشهورها ولياليها، وأيامها، وساعاتها وثوانيها وهو لا يصلي لربه صلاة واحدة، أو من مسلم يتهاون في أمر صلاته، فيصليها في غير أوقاتها، بهمة فاترة متقاعسة، ونفس متثاقلة، وكأنه مكره مرغم على فعلها، وما علم هذا، وذاك أن عمر العبد هو مدة حياته، قال ابن قيم ∴: (ولا حياة لمن أعرض عن الله، واشتغل بغيره، بل حياة البهائم خير من حياته، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه،

(1) سورة العنكبوت : (45).

ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، ومحبته وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه)[1].

وهذه الحياة تشرق وتقوى بإقامة الصلاة، فمن أقام الصلاة فهو حي، ومن ضيعها فهو ميت وإن كان يعيش مع من يعيشون، فثمة فرق واسع وبون شاسع بين من يحيا بمعاني الإيمان وحقائق الإسلام، وبين من يعيش بالعيش. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[2] الآية.

16- **ومن فوائد الصلاة: أنها سبب لقوة الشخصية واتزانها** وثباتها. إن الإسلام دين عقيدة سامية تبني الشخصية المسلمة ببعديها العقلي والنفسي ومن دلائل الكمال والشمول في دين الإسلام العظيم أن العقيدة عقيدة تقيد العقل ولا تصادره فهي القاعدة الفكرية التي تقاس عليها الأفكار، فهي فكرة كلية شاملة للإنسان والحياة، والكون نظم بها الإسلام الشخصية الإنسانية المسلمة تنظيماً متوازناً دقيقاً يراعي حاجات الإنسان من خلال مكوناته المادية والروحية ويؤدي إلى استقرار الشخصية واتزانها، وثباتها فوازن الإسلام بذلك في الإنسان بين متطلبات الروح، والجسد، وهيأ لكل منهما سبله التي يتم من خلالها حمايته وصيانته، وتوجيهه الوجهة التي ترتقي به في مدارج الطاعة لله تعالى واتباع ما أحل، والابتعاد عما حرم، وصار للشخصية في الإسلام صفات خاصة تميزها عن غيرها، وهي صفات تعكس أثر الإسلام العظيم الفاعل في بناء الشخصية المسلمة وتكوينها على نحو متميز، يظهر من خلاله مقصد الإسلام وهدفه في بناء الشخصية الإسلامية، لتكون شخصية دالة بفعلها، وحالها، ومقالها على عبوديتها لله تعالى، فهي شخصية لا تبغي في الأرض علواً، ولا فساداً،

---

(1) الجواب الكافي ص (90).

(2) سورة الأنعام: (122).

بل تبغي مرضاة الله سبحانه بعبادته، واتباع شرعه القويم.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[1] وقد جاءت هذه الآية الكريمة متضمنة لأمهات الأحكام فهي كما قال العلامة البيضاوي في تفسيره: (جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها، دالة عليها صريحاً، وضمناً، فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء: صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس... ولذلك وصف المجتمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده، وبالتقوى اعتباراً لمعاشرته للخلق، ومعاملته مع الحق)[2].

إن الصلاة ميدان كريم لبناء الشخصية المسلمة، وثباتها وقوتها، واتزانها، فهي مشتملة على الكمالات الإنسانية التي هي من قبيل صحة الاعتقاد، فالتكبير، والركوع، والسجود، والقيام كلها تعظيم لله الحق القيوم وتأكيد عملي لعقيدة: أنه لا معبود بحق إلا الله تعالى، فالله أكبر من كل كبير ومن كل ما يراه، أو يسمعه المصلي من الأناسي والمخلوقات عموماً قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[3]، ولا قنوت إلا لله تعالى. قال عز من قائل: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[4] ولا ركوع، ولا سجود ولا عبادة إلا لله جل جلاله. قال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ

---

(1) سورة البقرة: (177).

(2) تفسير البيضاوي ص (36).

(3) سورة الإسراء: (111).

(4) سورة البقرة: (238).

﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾[1] والصلاة مشتملة على ما يتعلق بالكمالات النفسية ففيها التعود على الصبر، وعلى حسن معاشرة المسلمين وذلك لأن المصلي يقف في صفوف الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة مع إخوانه المصلين في صلاة الجماعة وفي ذلك الصبر والتعود على حسن معاشرة المسلمين تهذيب للنفس، وتقويم للشخصية، وتدريب على التعامل مع الآخرين، ففي كل صلاة يقابل المصلي في المسجد أنواعاً مختلفة من الناس، فيعامل كل واحد بما يناسب في غير تكبر عليهم. أو انتقاص من أقدارهم.

ولا شك أن شخصية المسلم تزداد قوة ونماءً بالصلاة فهو في الصلاة يناجي ربه، ويثني عليه بما هو أهله، ويسبحه، ويكبره، ويتضرع إليه، ويتذلل بين يديه، وذلك كله وسواه يكسبه صدق الالتجاء إلى الله تعالى، وصدق التوكل عليه، وجمال الاستغناء به سبحانه عما سواه، وجلال الافتقار إليه عز وجل، ونور العزة به جل جلاله، فتسمو نفسه بهذه المعاني الكريمة، وينعكس ذلك على شخصيته فترى شخصية متزنة متوازنة غير حاقدة، ولا متكبرة ولا هلوعة، تعامل الآخرين تعاملاً كريماً فهي اتزان وعقل وفهم وكرم نفس.

17- **ومن فوائد الصلاة: أنها سبب لقوة الملكة والبصيرة والذاكرة**، وهذا أمر واضح مشاهد في حياة الناس المسلمين الذين يقيمون الصلاة، لا ينكره إلا مكابر مناكر ينكر ضوء الشمس في رابعة نهار صيفي، فالصلاة طاعة لله وعبادة، وهي من أعظم الطاعات، وأحب العبادات إلى الله تعالى، ولذلك افترضها على عباده خمس مرات في اليوم والليلة ولا تسقط إلا بالعجز الكلي عنها وذلك منذ التكليف بها.

وأثر الطاعة في قوة البصيرة والملكة والذاكرة معلوم عند أهل النظر والفكر والعلم، والفهم فالطائع لله تعالى جوارحه محفوظة سليمة بالطاعة،

---

(1) سورة الحج: (77).

وتزداد سلامة وقوة مع كثرة الطاعات وكثرة الأذكار، والملكة في المسلم الطائع لربه هي الأخرى تصفو بالطاعات، وتتألق صفاءً وقوة بكثرتها، وكذلك البصيرة لأن أثر الذنوب والسيئات على جوارح الإنسان وملكته، وبصيرته أثر سيء، فالنسيان ينشأ عن المعاصي والذنوب.

والذنوب والمعاصي كما يقول ابن قيم : تعالى: (تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي، وتضعف قوته وعزيمته، فلا يصبر عليه، بل قد يتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه كما ينعكس سيره فيدرك الباطل حقاً، والحق باطلاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً فينتكس في سيره ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة إلى سفره إلى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحياة الدنيا واطمأنت لها وغفلت عن الله وآياته، وتركت الاستعداد للقائه، ولو لم يكن في عقوبة الذنوب إلا هذه العقوبة وحدها كانت داعية إلى تركها والبعد منها والله المستعان، وهذا كما أن الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه وتثبته حتى يصير كالمرآة المجلوة في جلاءها وصفائها فيمتلئ نوراً)[1].

والنور الذي تحدثه الطاعة في الوجه هو أثر لنورانية القلب وبصيرته وقد قال الإمام مالك بن أنس ﷺ للإمام الشافعي ﷺ لما اجتمع به ورأى فيه نورانية الوجه: **"إني أرى الله قد ألقى عليك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية"** [2]، وذلك لأن للمعصية ظلاماً في الوجه في الدنيا والآخرة، كما أن للطاعة نوراً في وجه صاحبها في الدنيا والآخرة، فالطاعة تنير بصيرة القلب، وتطلق نوره، وتفتح طرق العلم، ومواد الهداية، وتقوي الملكة . وحين تكون الطاعة طاعة متكررة في كل يوم وليلة من حياة صاحبها فإن آثارها، وبركاتها، وأسرارها وأنوارها تكثر بتكررها، ولذلك فإن الصلاة

---

(1) الجواب الكافي (100).

(2) نفس المصدر : (83).

جعلت لمصلحة صاحبها وهي تعود عليه بخير كثير وأجر وفير في الظاهر والباطن والعاجل والآجل مما لا يحيط بعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. ونحن في حاجة إلى التدليل على ما تقدم وذلك من خلال دراسة مخبرية تجرى على يدي مختصين في العلم التجريبي تبين هذه الآثار بالدليل المادي الذي يظهر من خلال حركة وعمل أعضاء الإنسان وحركة دورته الدموية ومن خلال عمل القلب بسطاً وانقباضاً بحيث تكون هذه الدراسة على اثنين من المسلمين : أحدهما مقيم للصلاة، والآخر مضيع لها، وستظهر عند ذلك نتائج يندهش لها الناس إيجاباً وسلباً. وعلماء الأمة السالفون ﷺ حين بينوا آثار الطاعات وآثار الذنوب على أصحابها وعلى الحياة عامة، فإنهم فهموا ذلك من نصوص القرآن الكريم، ومن نصوص السنة النبوية الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام، ومن خلال المشاهدة، والتتبع لسير الناس وحياتهم وتقلبهم بين الخير والشر والسراء والضراء أفراداً وجماعات، ونحن نعيش في عصر العلم التجريبي ينبغي أن نضيف إلى جهودهم ما يمكن أن يسفر عنه العلم التجريبي من نتائج في هذا المجال، وأحسب أن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة مرشحة للاضطلاع بهذه المهمة والله الموفق إلى سواء السبيل.

ونحب أن نؤكد على حقيقة هامة وهي أن ما تقدم من الحديث عن فوائد الصلاة ما هو إلا قطرة صغيرة في بحر واسع الأنحاء غزير الموج والماء لا يدرك قعره، ولا تحد شواطئه، فالصلاة فضلها عظيم وخيرها عميم وفوائدها لا تحصى ولاتعد، وحسبنا التقريب، فالفوائد التي ذكرناها وإن جاءت في سبعة عشر فائدة – اختصاراً- فهي عند البسط تربو على الثلاثين، فالصلاة كما تقدم هي معقل المؤمن ومفزعه، وخندقه، ونهره الذي يتطهر به، ومفتاح رزقه، وهي سره، ونوره، وعقله، وقلبه، وروحه ومشاعره، وعواطفه وهي بالجملة حياته التي يحيا بها قلبه في الدنيا، ويحيا بها في الآخرة يوم تموت قلوب، فمن كان في صلاته حياً فهو في آخرته حي،

ومن كان في صلاته ثابتاً متزناً فهو على الصراط ثابت متزن. فإقامة الصلاة تدل على إيمان صاحبها ودينه وعلى عدالته، ورجاحة عقله، وثبات قلبه، واتزان شخصيته، وكرم نفسه، فليهنأ مقيموا الصلاة بالخيرات في الحياة وبعد الممات.

قال ابن قيم : (فاعلم أن لا ريب أن الصلاة قرة عيون المحبين ولذة أرواح الموحدين وبستان العابدين، ولذة نفوس الخاشعين. ومحك الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمة الله المهداة إلى عباده المؤمنين، هداهم إليها وعرفهم بها وأهداها إليهم على يد رسوله الصادق الأمين رحمة بهم ، وإكراماً لينالوا بها شرف كرامته والفوز بقربه لا لحاجة منه إليهم بل منة منه وتفضلاً عليهم، وتعبد بها قلوبهم وجوارحهم جميعاً وجعل حظ القلب العارف منها أكمل الحظين وأعظمهما وهو إقباله على ربه سبحانه وفرحه وتلذذه بقربه وتنعمه بحبه وابتهاجه بالقيام بين يديه وانصرافه حال القيام له بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده وتكميله حقوق عبوديته ظاهراً وباطناً حتى تقع على الوجه الذي يرضاه ربه سبحانه)[1].

(1) أسرار الصلاة والفرق والموازنة بين ذوق الصلاة والسماع. لابن قيم (55-56).